# Sources of Western knowledge of the thought of Hassan Hanafi References (methodologies)

Sarab Mohammed Safar
University of Baghdad - College of Arts - Department of Philosophy
M.D. Hussein Hadi Saleh
University of Baghdad - College of Arts - Department of Philosophy
hussinhadi@coart.uobaghdad.edu.iq

**DOI: 10.31973/aj.v2i138.1758**

## Abstract:

Hassan Hanafi was influenced by Western philosophers, especially Espinosa, Feuerbach and Husserl, by adopting their ideas and methods and applying them to the religious phenomenon. Referring to the original texts instead of taking the authority of the clergy to reveal the relationship between theology and politics. And then Feuerbach's materialism, whose centrality revolves around the attempt to humanize religion and to eliminate the idealistic and contemplative philosophies on which religion depends and its call to eliminate human alienation through the return of the individual to his human qualities that he attributed to God and thus his independence of mind and will, "The future has no religion.
**Keywords:** reason, revelation, faith, religion.

# مصادر المعرفة الغربية لفكر حسن حنفي المرجعيات (المنهجيات)

**الباحثة سراب محمد صفر**
**جامعة بغداد – كلية الآداب – قسم الفلسفة**

**م.د. حسين هادي صالح**
**جامعة بغداد – كلية الآداب – قسم الفلسفة**
**hussinhadi@coart.uobaghdad.edu.iq**

**(مُلَخَّصُ البَحث)**

تأثر حسن حنفي في الفلاسفة الغربيين ولاسيّما (اسبنوزا) و(فيورباخ) و(هوسرل) وذلك من خلال تبني أفكارهم ومناهجهم وتطبيقها على الظاهرة الدينية، ففي البداية يكمن الاثر المنهجي لفلسفة اسبنوزا على فكر حنفي في طرحه لمنهج النقد التأريخي وذلك معتمدا العقل والرجوع الى النصوص الاصلية بدلاً من الاخذ بسلطة رجال الدين لكشف العلاقة بين اللاهوت والسياسة، ومن ثم مادية فيورباخ والتي تدور مركزيتها حول محاولة أنسنة الدين والقضاء على الفلسفات المثالية والتأملية التي يعتمد عليها الدين ودعوته للقضاء على الاغتراب الانساني من خلال رجوع الفرد الى صفاته الانسانية التي نسبها لله ومن ثمّ استقلاله عقلاً وارادةً "فالمستقبل لا دين له".

**الكلمات المفتاحية:** العقل، الوحي، الايمان، الدين.

**المقدمة:**

تعددت الرؤى والمواقف للمفكرين العرب والمسلمين إتجاه الحداثة بشكل عام والحداثة الغربية بشكل خاص فمنهم من رأى أن الحداثة تتمثل في الغرب واتخذها كأنموذج يحتذى به لقيام نهضة عربية إسلامية.

وآخرون رفضوا الحداثة الغربية جملة وتفصيلاً ودعوا إلى العودة إلى الإسلام الأصل لتجاوز الازمات التي يمر بها العالم الاسلامي وعدّوا الحداثة هي مظهراً غربياً – دخيلاً تنتمي لتراثنا وبين هذا الموقف وذاك سادت نزعة توفيقية بين التراث الإسلامي والحداثة.

إن ما حدث خلال القرنين الماضيين لا يمكن تجاهله ولاسيّما من قبل النخبة المثقفة الواعية التي دوماً تسعى للمطالبة بحقوق الانسان وحريته فنحن نعاني من الانحطاط والفقر، والظلم، وتسلط، نظم الحكم داخلياً، ومن الاستعمار وسيطرتها على ثروات البلاد خارجياً، إذْ إننا نعاني من الغرب المتسلط والذي يرى نفسه انه أحق بحكم الإنسانية جمعاء مستغلاً حداثته وتطوره. صحيح ان الغرب عاش الحداثة بكل تفاصيلها لكن الحداثة ليست خاصة بالغرب وإنما هي تتحقق في أي مجتمع يعطي لأفراده مساحة غير محدودة للحرية الفكرية والإيمان بقدرات الإنسان للإبتكار والإبداع من دون تقييده بقيود مادية أو معنوية.

ومن المفكرين المعاصرين المسلمين الذين اهتموا بقضية الحداثة هم محمد عابد الجابري، ومحمد اركون، وحسن حنفي وغيرهم، ونحن هنا نستعرض في هذه الرسالة أهم أفكار ومواقف حسن حنفي – بصفته موضوع بحثنا الحالي– إتجاه الحداثة بشكل خاص والحداثة الغربية بشكل عام.

وتضمن حديثنا عن الجانب النظري للمرجعيات الحداثوية الغربية لفكر حسن حنفي الذين أفاد من أفكارهم وطبقها فيما بعد على التراث والعلوم الاسلامية، إذ انه تأثر بالكثير من الفلاسفة الغربيين من أمثال اسبنوزا، وفيورباخ بشكل خاص، والتي تبناها حنفي من فلسفة اسبنورزا في أثناء نقده للتاريخ وللكتب المقدسة من خلال قراءة اسبنوزا للكتب الدينية قراءة علمية موضوعية نقدية وتأكيده على ارتباط الدين بالسياسة، وتقديم العقل على النص ودعوته إلى حرية الفكر وكشفه للعلاقة بين اللاهوت والسياسة.

وايضاً عرضنا أفكار فيورباخ عن الدين مؤكداً أن الدين الجديد هو دين انساني وذلك من خلال استرجاع الانسان أخص صفاته الذي هو نفسه أخرجها بصورة معبود مشخص يعبده ويقدسه والقضاء على الاستغراب ورفض التبعية واستقلال الانسان عقلاً وإرادة.

**اسبنوزا.. العقل بوصفه غاية لفهم الوحي:**

**أولاً. أهمية النقد التاريخي لاسبنوزا عند حسن حنفي:**

"قدّم حنفي الفيلسوف الهولندي اسبنوزا (١٦٣٢- ١٦٧٧م) إلى العالم العربي والإسلامي من خلال ترجمته وتقديمه لكتاب اسبنوزا "رسالة في اللاهوت والسياسة" كتاب اللاهوت والسياسة (السحمودي، ٢٠١٥، ص١٤٣). والتي هي عبارة عن دراسة تاريخية للأناجيل، ويعد علم النقد التاريخي للكتب المقدسة أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة وهو ما عده حسن حنفي أحد أهم مكاسب الحضارة الاوربية انتصاراً للعقل في القرن السابع عشر قرن اسبنوزا واخضاع الطبيعة له إذ إن لا فرق بين الظاهرة الطبيعية والنص الديني فكلاهما يخضع للعقل وقواعده (اسماعيل، ٢٠١٦، ص١٥٨).

"ومن خلال مواضع كثيرة في كتبه تبين هدفه من هذه الترجمة والتقديم فهو موجه إلى من ينظرون إلى الكتب المقدسة نظرة علمية ليحفزهم على التأسي بهذا النموذج في النظر في نصوص القرآن والسنة فهو يؤكد أن الترجمة تأليف غير مباشر ويدعو إلى التأسي بالاتجاه العقلي الأوربي وإلى تطبيق المنهج الاسبنوزي على التراث الديني الإسلامي" (السحمودي، ٢٠١٥، ص١٤٣).

وقرأ حسن حنفي تاريخ الفلسفة الأوربية وتعرف عليها من خلال اسبنوزا لأنه تميز بالوضوح في طرح أفكاره مثل برجسون خلافاً لكيركجارد الذي عانى حنفي من صعوبة في فهم فلسفته يقول حسن حنفي "كنت غارقاً في تاريخ الفلسفة منذ البداية إلى النهائية.. وكنت تائهاً مع كيركجارد وكان اكتشافاً للفلسفة الاوربية اسبنوزا في (رسالة اللاهوت والسياسة) ثم برجسون أي الخلود والزمان لذلك قال برجسون عن حق لكل إنسان فلسفتان فلسفته الخاصة وفلسفة اسبنوزا بعد ذلك انتظمت المذاهب الأوربية في ذهني في مسلسلٍ واحدٍ" (حنفي، د.ت، ص٢٣٨).

نشأ النقد التأريخي للكتب المقدسة في العصر الحديث على يد اسبنوزا وريتشارد سيمون وسار فيه فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر وعلماء النقد البروتستانت في القرن التاسع عشر والمجددون الكاثوليك في القرن العشرين من أجل تتبع نشأة النص وتطوره وعدّه تعبيراً عن عقائد الجماعة المسيحية الأولى (حنفي، ١٩٩٠، ص٢٥).

يقول حسن حنفي: "ولما كنت قد درست (النقد التاريخي للكتب المقدسة) وأنا أكتب الجزء الثاني من رسالتي الثانية (ظاهريات التفسير)، محاولة لتفسير وجودي ابتداءً من العهد الجديد وكنت على علم بكل آية في الأناجيل كيف تكونت وعن أي عقيدة تعبر وأنا في ذلك أثبت النظريات القرآنية عن التغيير والتحريف والتبديل معتمدا علم النقد الحديث وكما فعل ابن حزم والغزالي وابن تيمية ابتداءً من علم النقد القديم" (حنفي، د.ت، ص٢٤٤-

٢٤٥)."ولما تحولت كل أفكار عصر التنوير إلى علوم أصبح نقد العقل للنصوص علماً لنقد الكتب المقدسة فتحول ما ظنه القدماء عقائد موحى بها أو نصوص مقدسة إلى موضوعات لعلم تاريخ الأديان المقارن" (حنفي، ١٩٩٠، ص٤٤).

يقول حسن حنفي: "إن فكر اسبنوزا مهم لأنه طبق العقل في المجالات التي استثناها ديكارت وبين الصلة بين اللاهوت والسياسة فرفض رجال الدين في اليهودية كما فعلها لوثر في المسيحية" (حنفي، ٢٠٠٤، ص٨٥).

قرأ حسن حنفي كتاب (اللاهوت والسياسة) لاسبنوزا في باريس وقد لاقت أفكاره اهتماماً كبيراً عند حسن حنفي، إذ يقول: "وكنت أكاد أطير من الفرح وأنا أرى نقد النصوص الدينية للتوراة والإنجيل وإثبات تحريفها ونقد العقائد والهجوم على بولص بوصفه المسؤول الأول عن تحريف العقائد المسيحية وأن ما يسميه المسيحيون الرسل هم الحواريون وليسوا أنبياء ورفض المعجزات ورفض الثيوقراطية، كنظام سياسي بدليل انهيار دولة العيرانيين والصلة بين نشأة الدين من ناحية والخوف والجهل من ناحية أخرى، وتأكيد صلة الدين بالسياسة كنقطة البداية في تغيير المجتمعات"(حنفي، ١٩٩٨، ص٦٢٩).

"كنت أريد أن يقرأ كل مواطن في مصر وكل إنسان العنوان الفرعي لرسالة اسبنوزا وهو أن حرية الفكر ليست خطراً على التقوى ولا على سلامة الدولة بل أن القضاء على حرية الفكر فيه خطر على الإيمان وعلى سلامة الدولة"(حنفي، ١٩٩٨، ص٦٣٠).

رفض اسبنوزا فكرة الوسيط (رجال الدين) بين الإنسان وربه المتمثلة في الديانة المسيحية (الكنيسة) واليهودية (المعبد) ورأى أن الحل يكمن في اتباع منهج الدين الإسلامي حيث تكون علاقة العبد بربه مباشرة بدون وسيط، وعلى هذا يقول اسبنوزا في أحد رسائله لصديقه: "إذا أرادت المسيحية واليهودية أن يُصلح حالهما فلا بد أن يتبعا نظام الكنيسة الإسلامية ومعنى ذلك أنه لا كنيسة" (حنفي، ٢٠٠٤، ص٩١).

**ثانياً. الأثر العملي للنقد التأريخي في فكر حسن حنفي:**

ترجم حسن حنفي كتاب "اللاهوت والسياسة" وذلك لتبني النقد التاريخي للكتب الدينية لاسبنوزا ومن خلال ترجمته هذه أراد حنفي أن يعبر عن أفكاره بطريقة غير مباشرة في مجتمع يقيد الحريات ويغلب عليها طابع التقليد ويسودها الاستبداد (السيف، ٢٠١٥، ص١٨٩). يقول حسن حنفي: "إن اختيار نصوص يعينها للترجمة في حد ذاته تأليف غير مباشر ويكون المترجم في هذه الحالة مؤلفاً بطريق غير مباشر" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٥).

إن اسبنوزا كما يرى حسن حنفي يطرح الفكرة لكنه لا يعطينا هذه الحقائق وذلك لحث العقل الانساني على التفكر والتعقل بدلاً من الثبات والجمود "وقد قيل عن اسبنوزا: إنه فيلسوف مقنع يقول نصف الحقيقة ويترك النصف الآخر للذكاء أو التاريخ أو للتطور

الطبيعي"(اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٦). فكانت ترجمته لرسالة اللاهوت والسياسة أثراً بارزاً في العالم العربي الإسلامي وقد طبعت لمرات عديدة وهي (نموذج للاجتهاد اللاهوتي الذي عمل على تطبيق العقل في الميادين التي استثناها ديكارت ... وهو الدين والسياسة) (حنفي، ٢٠٠٤، ص٨٤). إن رسالة اسبنوزا كما يرى حنفي "ليس دراسة بين الدين والسياسة بقدر ما هي دراسة للصلة بين السلطة اللاهوتية والسلطة السياسية" (احمد، ٢٠١٤، ص٣٠٥).

"وأما الذي يستعيره حنفي من اسبنوزا، أو يراه صالحاً للتطبيق على الدين الإسلامي وواقع المسلمين يتجلى في أمرين هما:

**أولاً**. رفض مفاهيم التأليه والتقديس في الدين والتي ترتبط بتقديس السلطة السياسية أي التواطئ الأبدي سلطة اللاهوت والسياسة.

**ثانياً**. النقد التأريخي للكتب المقدسة، وهي منهجية تجمع بين اسبنوزا وغيره من ماديي فلسفة التنوير" (السحمودي، ٢٠١٥، ص١٤٣-١٤٤).

يقول حسن حنفي إن: "النقد التاريخي مستقل عن كل فلسفة ولا يقوم على مذهب أو عقيدة ولا يعتمد على اعتقادات شخصية بل على حياد التصور ولا يقوم على افتراضات مسبقة بل على العكس من ذلك فهو نقد محكم بقدر ما يستبعد كل حكم لاهوتي عقائدي أو دفاعي ولا يحتاج إلى نقد فلسفي لضبط نتائجه وتمحيصها" (حنفي، ٢٠١٣، ص١٢٤).

فالمرحلة الحالية تتطلب استدعاء افكار اسبنوزا لأنه طبق المنهج العقلي في دراسة الدين والسياسة وهي من الموضوعات المحرمة التي لا يمكن دراستها عندنا "وإذا كان الجيل السابق قد نقل ديكارت لأن العقل هو اعدل الأشياء قسمة بين الناس فجيلنا ينقل اسبنوزا لبيان كيفية أعمال العقل في الاستثناءات التي تركها ديكارت خارج الشك مثل العقائد ونظم الحكم (حنفي، د.ت، ص٢٥٥). "رفض اسبنوزا النظرة التقليدية للدين التي تعتبر الكتاب الذي يتضمن الوحي الإلهي إضافة يمكن أن يكون بعضه محرفاً الهياً ومقدساً قبل دراسته ونقده فقد أكد على المنهج التاريخي النقدي الذي يجعل العقل المرجع للتأكد من صحة الكتاب وهو العلم الذي جهله القدماء واكتشفه المحدثون" (حنفي، ١٩٩٠، ص١٦٨).

إذ يقول "إنني لا أستطيع أن اكتم دهشتي البالغة عندما أجد أحداً يريد إخضاع العقل هذه الهبة العليا وهذا النور الإلهي لحرف مائت استطاع الفساد الإنساني تحريفه" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٣٥٧). ويرى اسبنوزا أنه لا يحق للكنيسة احتكار تفسير الكتاب المقدس ولا يصح تكفير كل من يحاول تفسير الكتاب لأن الدين نفسه لا يحرم على الفرد حرية التعبير (احمد، ٢٠١٤، ص٣٠٨). "فالإيمان إذن يكفل لكل فرد الحرية المطلقة في أن يتفلسف حتى يستطيع أن يفكر كما يشاء ...من دون أن يكون بذلك قد أرتكب جرماً وهو لا يدين إلا من يدعون الناس إلى العصيان والكراهية والمنازعات والغضب (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٣٥٣).

ويتضمن البحث التأريخي الذي استعمله اسبنوزا في نقد وتقويم التوراة بخطوات ثلاث وهي كالآتي:

❖ **معرفة خصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس ومعرفة معاني النصوص حسب الاستعمال العرفي لها (احمد، ٢٠١٤، ص٣٠٧).**

"يعطينا منهج التفسير اللغوي المعاني الصحيحة للألفاظ لأنه إذا أمكن تغيير معنى النص بسهولة فأنه لا يمكن تغيير معنى الكلمة أو اللفظ ومن يريد تفسير معناه عليه تغيير تأريخ استعمالها وهذا مستحيل" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٤٢).

❖ **جمع النصوص الدينية في موضوعات رئيسة:**

حتى يمكن استعمال النصوص التي تتعلق بنفس الموضوع مرة واحدة يجب إذن تحويل الكتاب إلى موضوعي مفهرس حتى يسهل استعماله حسب الموضوع كما يمكن تبويب الآيات حسب درجة وضوحها وغموضها.

❖ **معرفة الظروف والملامسات التي كتبت بها الأسفار:**

أي معرفة حياة المؤلف وتقاليده وأخلاقه والغاية من السفر ومناسبته وعصره ولغته (أحمد، ٢٠١٤، ص٣٠٧).

صحيح ان اسبنوزا في بحثه يتعامل مع التاريخ لكنه بعيد عن النزعة التأريخية فهو يتجه لدراسة الظواهر المادية والبحث عن حقاقها في وعي الراوي (فقه اللغة) فهو نقد محكم ولا مجال للشك فيه "وبالرغم من أن تعامله مع التاريخ إلّا إنه بعيد عن النزعة التاريخية لأنه يضع الوقائع بين قوسين باحثاً عن منهجية معيارية داخل وعي الراوي وأخيراً ليس النقد التاريخي مؤقتاً بل هو نقد دائم يجري مرة واحدة وإلى الأبد فالصحة التاريخية للنص هو الشرط الضروري لفهمه وكشفه في العمل ويتم تطبيقه منذ إعلان الوحي ودون انتظار العصور الحديث (حنفي، ٢٠١٣، ص١٠١).

وقد استفاد حنفي من افكار اسبنوزا ليطبقها فيما بعد في العلوم الاسلامية لتطوير الواقع، إذ يؤكد حنفي أن ترجمة كتب اسبنوزا أو عرض أفكاره الغرض منه هو تطوير محاولة اسبنوزا ويتم ذلك بثلاثة وسائل:

- **الأولى:** "تأكيد صدق تحليلات اسبنوزا وذلك بإعطاء تحليلات جديدة ودفع أفكاره إلى اقصى حدودها واستخلاص أبعد نتائجها (...)" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٦).
- **الثانية:** إخراج اسبنوزا من أبحاثه الخاصة والحاقة بالتراث الفلسفي في القرن السابع عشر بأكمله، ثم إخراج اسبنوزا والحاقه بالتراث النقدي كله في القرون التالية ... ومن ثم يبدو أن اسبنوزا معاصراً أشد المعاصرة كما يبدو النقد التاريخي المعاصر وكأن له جذور في مناهج اسبنوزا النقدية (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٦-٧). ويعد اسبنوزا في رأي حسن

حنفي الممهد للحركة العقلية النقدية للمفكرين الذين جاءوا من بعده لأنه أعطى للعقل دوراً رئيساً في كافة مجالات الحياة وعدم حصره في نطاق ضيق من أجل القضاء على الوهم والخرافة لا في العلم فقط بل في الحياة اليومية (حنفي، ١٩٩٠، ص٤٣).

- **الثالثة:** اسقاط المادة التي عمل عليها اسبنوزا واحلال مادة أخرى محلها مع الابقاء على المنهج نفسه أعنى اسقاط التراث اليهودي واحلال التراث الديني وآخر وليكن التراث الإسلامي". (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٧). "ويمكن القول إن نقطة انطلاق في مشروع حسن حنفي يتعلق بتجديد علم أصول الدين قد بدأت مع ترجمته لكتاب اسبنوزا في اللاهوت والسياسة" (اسماعيل، ٢٠١٦، ص١٥٨).

**ثالثاً. قراءة الدين والسياسة قراءة عقلية وعلمية:**

إذ إن اسبنوزا يرفض بشدة كل محاولة لإعطاء العقل مكانة ثانوية بالنسبة إلى الوحي ويقول: "إنني لأدهش ممن يرغب في إخضاع العقل تلك الموهبة الرفيعة والنور العلوي للحرف الجامد الذي ربما كان الجنس البشري قد أفسده" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص١٩١).

فقد استدعى حنفي المنهج التأريخي لدراسة علم الكلام لما بين اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الاسلامي من تشابه فيرى حسن حنفي "إن علم الكلام عند القدماء علم لاهوتي بالمعنى المسيحي الغربي للكلمة Theologies أي نظرية من (الله) أو علم الله أو الالهيات بالمعنى الفلسفي وكل المشاكل الاخرى ولو انها تبدو انسانية في مظهرها إلاّ أنها لا توضع الا في علاقة مع الله" (حنفي، ٢٠١٧، ص٨٤).

"حاول حسن حنفي في تعاطيه مع اصول الدين توظيف منهج التفسير الاجتماعي/ التاريخي وهو ما تجلى بوضوح في تحليليه لظاهرة الوحي من خلال قيامه بتفكيك نظرية المعرفة التقليدية في علم اصول الدين التي ترتكز في رأيه على محورين: الأول يجعل الايمان وسيلة للمعرفة... والثاني هو النظر في تبرير الايمان وفهمه من دون نقد وتمحيص" (اسماعيل، ٢٠١٦، ص١٦٠-١٦١).

والمنهج المعتمد عند القدماء في توظيفهم لأصول الدين يعتمد محورين اساسيين الاول ايماني والثاني دفاعي "والمنهج الاول منهج ايماني خالص يقوم على التسليم بالعقائد الدينية تسليماً مسبقاً عن طريق الوحي وفي هذه الحالة تكون وظيفة العقل مجرد ايراد البراهين على صحة المسلمات المسبقة وهو المنهج المعروف في العصر الوسيط الاوربي (أومن كي اعقل)" (حنفي، ٢٠١٧، ص٩٤).

أما "المنهج الثاني الذي يستعمله علم الكلام هو منهج الدفاع عن العقيدة والذب عنها (...) والحقيقة أن الدفاع ليس منهجاً للعلم بل هو مجرد تقريظ وثناء ومدح للنفس وهجوم

وتجريح للآخر"، "والدفاع والهجوم كلاهما يقومان على التعصب والهوى والمصلحة ويدلان على نقص في العلم والموضوعية والتجرد والنزاهة والحياد" (حنفي، ٢٠١٧، ص٩٦).

كما ان قوانين الطبيعة ثابتة أما المتكلم القديم يرى أن المعجزة تعني خرق قوانين الطبيعة "فقد تصور المتكلم القديم أن الله قادر على خرق قوانين الطبيعة" (حنفي، ٢٠١٧، ص٨٥). وقارن حنفي هذا الرأي عند اسبنوزا الذي يرى أن قدرة الله لا تختلف مع قوانين الطبيعة فقدرة الله وقوانين الطبيعة واحدة فهو الذي جعل نظاماً ثابتاً لهذا العالم والمعجزة التي عبارة عن خلل عن نظام الطبيعة لا وجود لها إلّا في ذهن العامة (احمد، ٢٠١٤، ص٣١٣).

إذن "علم الكلام مسؤول عن القضاء على النظرة العلمية للظواهر وذلك بالقضاء على استقلال الموضوعات وربطها دائماً بطرف آخر هو الله إذ لا يتحدد أي موضوع مثل الوجود أو الحياة أو الحرية أو السياسة أو الاخلاق ... إلّا إذا كان الله طرفاً فيه ثم تفسير هذه الظواهر باللجوء إلى العلة الأولى دون العلل المباشرة" حنفي، ٢٠١٧، ص٨٦).

"لقد ركز العلم على ضرورة المعجزة لإثبات النبوة وتأييد للأخبار في حين أن الوحي في آخر مراحله وهو الوحي الاسلامي له يقينه الداخلي وصدقه الذاتي ولا يحتاج إلى برهان خارجي فضلاً عن المعجزة بمعنى خرق قوانين الطبيعة ربما كانت موجودة في المراحل السابقة للوحي من أجل تحرير الشعور الانساني من سيطرة الطبيعة أو من سلطة الحاكم المطلق" (حنفي، ٢٠١٧، ص٩١).

تأسيساً على ما تقدّم "ما يهمنا فأن حنفي يوضح أن الوحي بعد اعلانه وليس قبله وفهمه وتفسيره وتأويله من أجل الاستفادة منه في حياتنا العملية كما حرص على ذلك علم أصول الفقه في تحويل الوحي إلى علم دقيق ابتداءً من لحظة الإعلان عنه وليس قبل ذلك حتى لحظة تحققه في الحياة العملية كسلوك للأفراد وكنظام للجماعة سواء فيما يتعلق بالصحة التاريخية للنصوص من خلال مناهج الرواية أم الفهم لها من خلال مبادئ الفقه وأسباب النزول أم تحويلها إلى سلوك في الحياة العملية من خلال المقاصد والاحكام" حنفي، ٢٠١٧، ص٩٠).

"استخدم اسبنوزا فضلا عن المنهج التاريخي في دراسة التوراة منهج التفسير الديني ذا الثلاثة أبعاد:

١. الشعور التاريخي ووظيفته نقل الوحي شفهياً أو كتابياً وضمان صحته وضبطه عبر التأريخ.
٢. الشعور الفكري ومهمته فهم الوحي شفهياً أو كتابياً وضمان صحته وضبطه عبر التاريخ بعد التأكد من صحته بتفسيره وتحويله إلى اساس السلوك.

٣. الشعور العملي ومهمته تحويل الوحي إلى انماط للسلوك وإلى مناهج عملية في الحياة حتى يصبح الوحي نظاماً للعالم ويجري تحقيق الوحدة بين الفكر والواقع أو بين الروح والطبيعة"(احمد، ٢٠١٤، ص٣٠٧-٣٠٨).

"يتبع النقد التاريخي ثلاثة مطالب: مطلب عقلي ومطلب انساني ومطلب علمي ويظهر المطلب العقلي عند المفكرين الاحرار كما يظهر لديهم نقد العقائد القائم على الفهم البديهي للعقل (...) ويظهر المطلب الانساني في فلسفة التنوير إذ يهتم النقد باسم الكرامة الانسانية (...) أما المطلب العلمي فقد ظهر في القرن التاسع عشر عصر مستقبل العلم ... وقد أدى الايمان بالعلم للشك في العقائد وأدى التناقض بين الاكتشافات العلمية ومضمون النص إلى وضع المسألة النقدية" (حنفي، ٢٠١٣، ص١١١).

إن هدف اسبنوزا بالاساس من منهجه الهندسي المرتبط بخصائص الفلسفة العقلية عنده هو أن يضع الوحي والعقل في مجاله الخاص، علاوة النظر الى النصوص والمذاهب والعقائد برؤية عقلية يريد منها ابعاد رجال الدين عن الكمال المعرفي العقلي الذين كانوا دائماً حجر العثرة امام كل تقدم علمي من خلال سيطرتهم عليها. (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص١٩٠).

وعلى غرار اسبنوزا ينظر حنفي الى "النقد الديني زائف هو جمع خليط عن اللاهوت والايمان" (حنفي، ٢٠١٣، ص١٢١).

"ويعدُّ النقد التأريخي أهم الاسباب في نشأة حركة التجديد الديني في الفكر المعاصر فقد قدّم البعد الشعوري في النص الديني وأصبح النص يعبر عن التجارب الحية للجماعة الدينية الاولى التي نشأ النص منها"(اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٢٠-٢١).

يصف حسن حنفي أن "نقد اسبنوزا للكتاب المقدس هو جمعه بين كل أنواع النقود التي ظهرت في القرون الثلاثة الماضية فهو نقد عقلي يقوم على استعمال العقل وهو نقد عملي ينظر إلى الكتاب المقدس نظرة علمية فقد اصبحت رسائل الحواريين لديه تعبير عن تجاربهم الشخصية بل عن عقدهم النفسية ومحيطهم وظروفهم الخاصة. إن نقد اسبنوزا كان سبباً في نشأة حركة التنوير الدينية في الغرب وما زال أحد دعائم التجديد على الاطلاق" (حنفي، ٢٠٠٤، ص٨٣).

يفهم من حسن حنفي أن فلاسفة التنوير بشكل عام واسبنوزا بشكل خاص قد ساهموا في القضاء على سلطة رجال الدين والسياسة لغرض حصول الانسان على حقوقه وحرياته، إذ يصنف الحرية عندنا أنها فقط تتمثل بالتحرر من الاستعمار، في حين مشكلات العصر بقت كما هي لأننا نعاني من التقليد والتكرار دون الابداع والابتكار؛ لأن القضاء على المعوقات هي الخطوة الاساسية للنجاح (حنفي، د.ت، ص٩٣-٩٤).

يعلق حنفي على منهجية اسبنوزا بأنه استطاع وبجدارة ان يطبق المنهج العقلي في مجالي الدين والسياسة التي استثناها كانط، بالرغم مالها من اهمية بالغة في حياة الناس من خلال استخدام المنهج العقلي نستطيع القضاء على التزييف والاوهام من جهة ونحصل على حقوقنا وحريتنا من جهة أخرى (حنفي، ٢٠٠٤، ص٨٤).

إن النزعة التعددية التي سيطرت على فكر اسبنوزا منذ كتاب اللاهوت والسياسة وصلت الى مستوى جذري قوي الدلالات حيث مكنته من تطبيق قواعد النقد العقلي بكل صرامة على الكتب المقدسة واثبتت تحريفها، ومواطن الخلل فيها، ونقد سيطرة الكهنة والاحبار على الدولة وتوسطها بين الحكام والشعب لذلك قام براز نظرية العقد الاجتماعي الذي يكون الحاكم ممثلاً للشعب وليس خليفة الله على الارض (حنفي، ١٩٩٨، ص٥٣٩-٥٤٠).

يبدو لنا ان اهتماما اسبنوزا بالنظام الديموقراطي لأنه في نظره لأنه في نظره أكثر الانظمة السياسة انسجاماً مع العقل والطبيعة الانسانية (حنفي، ١٩٩٠، ص٥٥).

على الرغم من المضايقة الفكرية التي واجهها اسبنوزا الا انه لم يمنعه من اعلان الحقيقة وأكثر الدول حرية هي التي يتناسب فيها المعيار القانوني مع العقل السليم، وهنا تبرز القيم الانسانية ويصبح الانسان حراً يعيش بمحض اختياره وفقاً للعقل (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٣٧٤).

"شكلت أحد الاسئلة السياسية التي طرحها اسبنوزا في كتابه عن اللاهوت والسياسة هو الآتي: لماذا يناضل الشعب من اجل عبوديته بمعنى آخر لماذا ينجح قادة الاصوليين بالتلاعب بعقول الشعب وتسييره وراءهم بالمئات والالاف وربما الملايين ولماذا يبدو الشعب لا عقلانياً إلى هذه الدرجة؟" (صالح، ٢٠٠٥، ص١٩٦-١٩٧).

إذ يقول: "لو كان من السهل السيطرة على الاذهان مثلما يمكن السيطرة على الالسنة لما وجدت اية حكومة نفسها في خطر ولما احتاجت اي سلطة لاستعمال العنف ولعاش كل فرد وفقاً لهوى الحكام" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٤٣٥).

فالحل في نظر اسبنوزا هو استثمار العقل فيقول: "من هذا العقل ينبغي ان ننطلق لكي نؤسس مجتمعاً أكثر حرية وانسانية ولكي نتوصل إلى ذلك ينبغي أن ندمر النظام القائم لاهوتياً وسياسياً فاللاهوت التقليدي المسيحي هو الذي يخلع المشروعية على الانظمة الفاسدة ولا بد من تفكيكيه إذا ما أردنا أن نغيرها لاحقاً" (صالح، ٢٠٠٥، ص١٩٦).

"للرسالة إذن هدفان: الاول ان حرية الفكر لا تمثل خطراً على الايمان والثاني اثبات ان حرية الفكر لا تمثل خطراً على سلامة الدولة وبتعبير آخر ان العقل اساس الايمان والثاني ان حرية الفكر لا تمثل خطراً على سلامة الدولة اي ان العقل ايضاً اساس كل نظام سياسي تتبعه الدولة" (حنفي، ٢٠٠٥، ص١٣).

يقترح اسبنوزا منهجاً للتفسير مشابهاً لمنهج تفسير الطبيعة أي منهجاً يعتمد الملاحظة والتجربة وعلى المعطيات النفسية وضع الفروض واستخلاص النتائج وفي حالة الكتاب يكون منهج استقصاء الحقائق التاريخية اليقينية والانتهاء منها إلى افكار مؤلفي الاسفار وبذلك تضمن نتائجها كما تضمن معرفتنا التي نحصل عليها بالنور الفطري لأن كثيراً من موضوعات الكتاب مثل قصص الانبياء لا يمكن معالجته بالنور الفطري بل بالكتاب وحده كما تعرف الطبيعة من الطبيعة نفسها" (حنفي، ١٩٩٠، ص٦٦). "إن كل ما يناقض العقل أو الطبيعة يجب حذفه لأنه زيادة من الراوي لإثارة النفوس وتحريك الخيال" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٤٢).

يراهن حنفي في مشروعه التحديثي على اسبنوزا من خلال الالتزام بمنهجه العقلي إذ يقول إن "القضاء على السلوك الانفعالي.. خطوة نحو العقلانية فإذا عرفنا مدى شيوع السلوك الانفعالي في البلاد النامية ومدى تدخل الاهواء والانفعالات في العلاقات الشخصية وفي تقديم المواقف وفي سن القوانين وتطبيقها عرفنا أن سيادة الانفعال وغياب العقل أحد مظاهر التخلف" (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص١٥). فالنقد التاريخي عند اسبنوزا هو في الأصل رؤية سابقة على الايمان بالمصدر الإلهي للكتاب المقدس وهو الضامن لصحته إذ هو وثيقة تأريخية تضم الوحي الإلهي وتحتاج إلى تحقيق تاريخي مضبوط (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص٢٢). يقول حسن حنفي "لا يقضي النقد التاريخي على القيم الدينية بل على العكس يعطيها يقينها التاريخي ... ليس هدفه هز العقائد بل على العكس يحاول ان يبين أين اسسها العقلية في النصوص الصحيحة ولا يقضي على التراث الصحيح تاريخياً" (حنفي، ٢٠١٣، ص١٠٠). فالدين عند اسبنوزا عمل وليس اعتقاد وان لكل فرد الحرية في الاعتقاد (الايمان) فالمهم برأيه السلوك الفاضل ولا ينبغي تكفير أي شخص ما دام يعمل الخير (اسبنوزا، ٢٠٠٥، ص١٩٢).

إن العقل الاصولي في جميع الاديان واحد لدرجة لم تعد لنا القدرة على وضع مأثر بين ما هو اصولي: مسيحي، اسلامي، يهودي، فجميعهم متعصبون ويفهمون الدين على غير ما هو عليه مما يعني أن الاعتقاد يفقد حقيقة فهم النص الديني (صالح، ٢٠٠٥، ص١٩٥).

**فيورباخ.. أنثروبولوجيا الدين بديلاً لثيولوجيا الدين:**

**أولاً. انسنة الدين عند فيورباخ وأثره على مشروع حسن حنفي (التراث والتجديد):**

يشير بعض الاسلاميين بأن "مشروع حسن حنفي الضخم على فكرة محورية يحاول فيها ان تكون نهاية الافكار الاساسية لمشروعه وتتمثل بأنسنة الدين واعطاء مفاهيم انسانية له سواء على مستوى الغيبيات والوحي والنبوة أم غيرها مع إلغاء الغيب بوصفه صادراً عن

الوحي واحلال عالم الشهادة بديلاً عنه وتأويل كل ما هو إلهي أو غيبي إلى انساني وارجاعه إلى الشعور الداخلي للإنسان" (السيف، ٢٠١٥، ص١٩٥).

يلوح حسن حنفي بالضد من ذلك بأن الهدف من قراءة الوحي ليس البناء النظري أو بضعة سطور من الكلمات والالفاظ يعلن عنه باللسان، بل هو نداء لتطوير الانسان والواقع "فالإيمان بناء نفسي للفرد وبناء اجتماعي للواقع" (حنفي، ٢٠١٧، ص٦٤).

وفي دراسته للاغتراب الديني استمد افكاره من فيورباخ إذ يقول: "ليس في هذا المقال ما يمس ديننا الحنيف بل هو دراسة للمسيحية واليهودية والوثنية أي للأديان السابقة على الاسلام وليس لخاتم الاديان، كما أنه دراسة لمقالات علماء الكلام وليس دراسة في الدين في ذاته ويشبه تحريم فقهاء المسلمون لهذا العلم والتحذير منه" (حنفي، ٢٠١٧، ٤٠٠).

وفي ضوء هذه المعطيات نفهم من قراءة اللاهوت الاسلامي يستدعي فكرة القدماء الاستعانة بالله، ويقدم بالمقابل قراءة يبين فيها قدرة الانسان على الفهم والفعل على النظر ... الخ "وكما يستعين القدماء بالله فإننا نستعين بقدرة الانسان على الفهم والفعل على النظر والعمل معتمدا النصوص القديمة وتجارب العصر، وكل التفسيرات ممكنة إذا كان فيها تلبية لمطالب العصر فلا توجد صحة نظرية بقدر ما هنالك من فائدة عملية" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٢-٤٣).

"حاول فيورباخ وضع فلسفة في التاريخ يصف فيها تطور الوعي الاوربي في مراحله المتعددة فقد بدأت الفلسفة الاوربية بالدين في العصر الوسيط والعصر الحديث حتى قبل هيجل، ثم بالمثالية أو الفلسفة التأملية (هيجل) وأنتهت أخيراً إلى الواقعية الحسية أو المادية الطبيعية (فيورباخ) وهذا التقدم الروحي متصل بالإنسان وليس بالله وهو نشاط واعِ لرقي النوع الانساني فالمستقبل لا دين له" (حنفي، ١٩٩١، ص٣٦١).

فرّق فيورباخ بين الدين الحقيقي والدين المزيف فالدين المزيف هو الدين الذي ابتدعه الانسان خارج ذاته وهي اساس صفاته الكمالية خارج العالم، وان الدين الحقيق يتمثل في علاقة الانسان وتعامله ضمن واقعه المادي فـ"الإنسان هو باختصار كائن يعتمد على الطبيعة وهذا الاعتماد في الحيوان والانسان طالما يتحرك داخل المجال الحيواني هو اعتماد غير واعِ – ولكن عند ارتفاعه الى الوعي والتخيل وعند التفكير فيه والاعتراف به يصبح ديناً وهكذا فإن الحياة كلها تعتمد تغيير الفصول" (فيورباخ، ١٩٩١، ص٤٢).

إذ إن حنفي ينظر إلى فيورباخ بأن قراءته للنص الديني هو اتمام ما جاء به اسبنوزا من تحليل المضمون للنصوص الدينية الاصلية القديمة، وعلى هذا فأن فيورباخ يريد تطبيق منهج تحليل المضمون على النصوص الدينية والرجوع إلى النصوص الاصلية القديمة أفضل بكثير من الرجوع إلى النصوص المعاصرة فالنصوص القديمة هي الوحيدة الجديدة

بالتأمل أما أقوال المعاصرين فسطحية حسية ينقصها الشجاعة ويغلفها الجبن والنفاق (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٦-٤٠٧).

"فيورباخ لم يختصر نقده في الفلسفة التأملية لأن اتجاه نقده أدى به إلى نقد الدين الذي يعدّه التطبيق العملي للفلسفة التأملية وحاجزاً أساسياً يحول دون التقدم المادي والاخلاقي والاجتماعي للمرحلة الحديثة" (أفاية، ٢٠١٤، ص٣٨).

اتخذ فيورباخ من نقده لمثالية هيجل وفهمها لماهية الانسان اوضاعاً مختلفة مثل رد الوعي الى الذات وربط المثالية بالدين نقد المثالية هو نقد الدين ثم انتقل من المثالية والدين إلى اكتشاف الانسان والطبيعة" (حنفي، ١١٩١، ص٣٥٩-٣٦٠).

ويرى فيورباخ في مقاله (ضرورة اصلاح الفلسفة) "أن عصور الانسانية لا تتميز الّا بتغييرات دينية ولا تكون الحركة التاريخية اساسية إلّا إذا كانت جذورها متأصلة في قلوب البشر" (فيورباخ، ١٩٩١، ص٣٣).

ان الطريقة التي يتناول فيها حسن حنفي فلسفة فيورباخ تجعلنا نلمس تركيزه على الوصول الى محاولة فيورباخ في نقده للاهوتيين في الدفاع عن الدين، وعلى غرار ذلك فعل حنفي إذ ابتلعت الدين وقضت على خصوصيته لحساب الفكر كما هاجم الوضعية لإنقاذ الانسان وعدم تحويله إلى صنم ووثن" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٨).

**ثانياً. الاغتراب الديني عند فيورباخ:**

ذهب فيورباخ للبحث عن الاغتراب وكشف اساس هذا الاغتراب عن طريق قراءته للنصوص القديمة فأدرك ان الثيولجيا ما هي إلّا انثربولوجيا مقلوبة وكذلك الصفات التي يصفها اللاهوتي لله ما هي إلّا صفات الانسان نفسه" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٧).

"وقد حاول فيورباخ القضاء على هذا الاغتراب بتحويل الثيولوجيا إلى انثربولوجيا والعودة بصفات الله إلى صفات الانسان فيثق الانسان بنفسه ويسترد شجاعته ويتخلى عن عجزه ويحقق ما يحلم به ويصبح ما ينبغي أن يكون لا ما هو كائن" (حنفي، ٢٠١٢، ص٤٣-٤٤). وتأسيس على ما تقدّم يطرح حنفي وفي مناسبات كثيرة الى رؤية تجديدية ينظر الى الالهيات القديمة ما هي بالأحرى إلّا انسانيات جديدة تكشف الذات والصفات تبرز افعال الانسان المتعين، الفرد الحر العاقل، وانطلاقا من هذه الامور يفسر حنفي ما سماه (اللاهوت الجديد) اقتباساً عن فيورباخ بالظاهر، وهو بذلك يحاول يظهر حقوق الانسان الضائعة في هذا العصر من داخل العقيدة ومن لب التوحيد بدلاً أن يكون انسان هذا العصر لا وجود له ولا أصل له ولا بقاء له بل مجرد شيء يتعثر في المركبات العامة وفي زحام الطرقات" (حنفي، ١٩٩٨، ص٧٩).

لم يتردد حنفي في عدّ الموقف الذي تبناه فيورباخ في تحول الانسان والذي يرتبط بماهية الفلسفة وهي العودة إلى الطبيعة والانسان وهذا الهدف يتحقق بنقد مزدوج لكل من المثالية واللاهوت" (عطية، ١٩٨٩، ص١٢١).

يصف حسن حنفي كتاب فيورباخ (جوهر المسيحية) بأن أفكاره تعبر عن أفكاره تماماً "وقد يصعب الحديث عن فيورباخ من فيورباخيا ... فلذلك ميزة وعيب ميزة الاتحاد مع الموضوع وفهمه من الداخل وعيب استحالة التفرقة بين العرض والتحليل من فيورباخ الموضوع وفيورباخ الباحث في عصر يحتاج إلى فيورباخ ... فالأفكار كلها فيورباخ مسؤولاً عنها وليس للباحث إلّا التحليل والشرح والعرض والتأويل كما فعل مع فلاسفة اليونان بشكل عام وكما فعل ابن رشد مع ارسطو خاصة" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٣).

وقد لاحظنا سابقا من مصادر حنفي الفكرية ان فيورباخ يبدو معتزليا إذ يفسر اليد بالقدرة والعين بالعلم ويحول التشبيه إلى تنزيه بشرط أن يكون هذا العقل والعقل الشامل، العقل الطبيعي الذي يتسق مع نفسه ويتسق مع الطبيعة وليس العقل الخاص عقل الايمان، والعقل هو القاعدة العامة والايمان هو الاستثناء الخاص (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٥).

فالاكتمال عند فيورباخ بأن مهمة الفلسفة نقدية تضع على عاتقها الاتصال بالماضي والحاضر الانساني مما يدعو اليه فيورباخ لانطلاقه من الواقع والانسان والعالم، إذ لابدّ من تأسيس فلسفة جديدة تستجيب لمطالب العصر تتمثل بتأسيس فلسفة جديدة كل الجدة أي فلسفة مستقلة تستجيب لحاجة الإنسانية والمستقبل يتعين بالانفصال عن الفلسفة التأملية والانطلاق من الواقع والانسان والعالم (...) وتتمثل مهمة الفلسفة الجديدة بالتأسيس لفلسفة المستقبل وبإرجاع الفلسفة من مملكة الارواح الميتة إلى جمهورية الارواح الحية وانزالها من غبطة الفكر الرباني إلى واقع اليأس الإنساني" (أفاية، ٢٠١٤، ص٣٨).

يقول حسن حنفي "بحث فيورباخ عن العالم الحي وليس عن العالم الميت واراد حقيقة مكتوبة بدماء القلب على صفحات التاريخ وليس حقيقة مكتوبة بالمداد على ورق أجوف، الحقيقة هي الانسان وليس العقل المجرد وعلى هذا النحو يمكن القضاء على الاغتراب الذي هو تضحية بالعياني في سبيل المجرد وقضاء على الانسان في سبيل الآخر الذي جرى خلقه وهماً وخداعاً" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٩-٤١٠).

"لم يفعل فيورباخ أكثر من إذاعته للسر المسيحي والكشف عن زيف اللاهوتيين وخداعهم وتناقضاتهم" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤١٠). "ويجد فيورباخ أن ما يلزم الفلسفة للوفاء بهذا الغرض إنما هو فهم إنساني واستعمال لغة إنسانية فإذا كان التفكير والكلام والفعل بطريقة إنسانية ليس معطى للأجيال فأن علينا أن ننتشل الإنسان مما هو غارق فيه" (عطية، ١٩٨٩، ص١١٧).

فمعرفة الاغتراب الانساني عند فيورباخ لا يجري إلّا من خلال الدين فإزالة الحجب عن الاغتراب الديني يقضي كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي أو بدني" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٤).

يرى فيورباخ أن وقوع الانسان في الاغتراب الديني يؤدي إلى وقوعه في الاغتراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛ لأن الاغتراب الديني هو اساس كل اغتراب ويجري الكشف عن الاغتراب الديني كما يرى فيورباخ عن طريق فلسفة الدين، أي قراءة الدين قراءة عقلية نقدية، إذ أن "أهم إسهام لفيورباخ هو نقده للدين.. فالدين هو حلم الانسانية الأرضي وعي الانسان اللاوعي بذاته فإذا استرد الانسان وعيه وانتقل من اللاوعي إلى الوعي اختفى الدين وظهر الإنسان في الطبيعة والمجتمع" (حنفي، ١٩٩١، ص٣٠٦).

وتوصل فيورباخ إلى أن "الشعور بالتبعية الحقيقي الشمولي وهو المفهوم الذي يفسر الاساس السيكولوجي للدين" (فيورباخ، ٢٠١٧، ص١٧٣). "ومن هنا عرف الاسهام الحقيقي لفيورباخ في فلسفة الدين باعتباره اسهاماً في تحليل اللاشعور الانساني" (فيورباخ، ٢٠١٧، ص١٧٣).

**ثالثاً. مفهوم الانسان الكامل عند فيورباخ:**

يقول فيورباخ في (محاضرات في جوهر الدين) الله هو الطبيعة المجردة والطبيعة بالمعنى الحقيقي لا المجازي هي الطبيعة المحسوسة الواقعية التي تظهرها لنا الحواس" (فيورباخ، ١٩٩١، ص٢٩). "فكل الانطباعات التي تنتجها الطبيعة على الانسان بواسطة الحواس يمكن ان تعدّ بواعث عبادة دينية" (فيورباخ، ١٩٩١، ص٢٩). "ويصف فيورباخ نفسه في مقدمة (ماهية المسحية) بأنه فيلسوف طبيعي والحقيقة أن الطبيعة كانت المصدر الاساس الذي حرك تفكير فيورباخ" (عطية، ١٩٨٩، ص٣١).

"يظهر الدين عند فيورباخ محوراً أساسياً يمثل صلب كتاباته جميعاً فهي كما يخبرنا في أولى محاضراته (جوهر الدين) نهدف إلى دراسة الدين واللاهوت وما يتصل بهما ويضيف لقد كان شغلي دائماً وقبل كل شيء أن أنير المناطق المظلمة للدين بمصابيح العلم حتى لا يمكن للإنسان ان لا يقع ضحية للقوى المعادية التي تستفيد من غموض الدين لتقهر الجنس البشري" (فيورباخ، ١٩٩١، ص٧).

قد لا يكون ثمة شك في ان اشتغال حنفي بسؤال فيورباخ هو أصل الدين ليس انشغالاً بسؤال فكري بقدر ما هو احداث مقاربة بين حنفي وفيورباخ، فالأخير ينظر الى نطاق العصر في تكريس الايمان على لسان مدعي العلم في مجتمع الحياة غير مكترث بما يحدث حوله سوى تقبل الاوهام والحقائق المزيفة والشائعات (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٨).

فحنفي مثل فيورباخ لم يرضى الى محو الدين او الغائه بل الوصول به الى حاجة الكمال (فيورباخ، ١٩٩١، ص٧). فالدين عند حنفي يتمثل في الطموح الذاتي للإنسان النابع من اعماقه ليتحقق على ارض الواقع إذ أن "إن الدين هو الروح الانساني ولكن الحلم لا يكون في السماء بل على الأرض وفتح على الدين وتحويل موضوع التمثل إلى موضوع فعلي" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤١١).

و"تبدأ المقدمات التقليدية بتنزيه الله تنزيهاً مطلقاً والاعلان عن أوصاف ذاته الكاملة وصفاتها المطلقة والتعبير عن هذا المطلب الذي هو غاية الانسان بلغة العشق والهيام" (حنفي، ٢٠١٧، ص٧).

وتأسيساً على ما تقدّم فحنفي يلتمس رؤية فيورباخ النقدية للفكر اللاهوتي فيقول: "إن صفات الله كالعلم والحياة والقدرة ... الخ هي صفات الإنسان الكامل فهذه الصفات عندما تنسب للإنسان فإنها تعبر أكثر عن المعنى اللفظي لله والانتقال من الله إلى الإنسان الكامل يعبر عن كل مضمون لله" (حنفي، ٢٠١٧، ص١٢٢).

"وتعني إخراج الكمال من داخل الإنسان إلى خارجه وتفريغه من المثل العليا ثم تشخيصها وتقديمها وعبادتها" (حنفي، ص٤١). يرى حسن حنفي إن الإنسان أكمل المخلوقات على وجه الأرض وقد جعله الله خليفته على أرضه وهو الذي يحقق رسال الله على سطح الأرض وهذا معنى حديث "إن الله خلق آدم على صورته فهو الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحت له الخلافة والنيابة عن الله في العالم" (حنفي، ٢٠٠٩، ص٥٦٤-٥٦٥).

"ولا شك أن نقد فيورباخ للدين مستمد من مفهوم الاستلاب ومعروف إن هذا المفهوم في المنظومة الهيجلية مكانة تصورية خاصة غير أن فيورباخ بدل تناوله قضايا تأملية حول الدين ربط الدين بوعي الانسان ووجوده فالروح عند هيجل حيث تسقط في استلابها في المادة والطبيعة تعيد وعيها بذاتها وتنتهي بإدراك طابعها وجوهرها المطلقين، أما عند فيورباخ فالإنسان عندما يستغرق في الله يرجع إلى ذاته ثم يكشف قدرته وسموه ولا سيّما خصائص ثلاث تميز الانسان وتتمثل بالعقل والارادة والحب وهي قوة سامية تشكل الجوهر الحقيقي للإنسان بوصفه إنساناً" (أفاية، ٢٠١٤، ص٣٨-٣٩).

فيورباخ كما يراه حنفي لم يضيف شيئاً ما لم يكن موجود بل ازال النقاب عن الدين، اي ثمة وجهة للتغيير لعله الاهم عنج فيورباخ بفهمه للدين بأن الله هو الانسان الشخصي المنفصل عن الذات "لم يبتدع فيورباخ شيئاً بل كشف الدين ورأى فيورباخ هذا الكشف إن الدين الذي يقول بأن الله هو الإنسان الشخصي المنفصل عن الذات المتخارج في العالم وإن الانسان هو الله بعد إن دفع بالإنسان بذاته خارجاً عنه مغترباً عن نفسه في آخر" (حنفي،

٢٠١٧، ص٤٠٩-٤١٠). "دعا فيورباخ إلى تأسيس انثربولوجيا قوامها جعل السياسية ديناً جديداً للإنسانية، أما الدين القديم المتمثل بالمسيحية فيتعين تجاوزه عن طريق الفلسفة لأنه فقد القدرة على المقاومة ويقف حجر عثرة أمام إرادة التحرر السياسي فالعصر الجديد يتميز بالواقعية ... فمن خلال التفكير في مؤسسات الدولة وتوجيهها حسب مصالح وأهداف الانسان وخلق الفرص لمشاركته في الشأن العام" (أفاية، ٢٠١٤، ص٤٠). يرى حسن حنفي إننا نجعل العقائد مقدمات لأجل العمل لابد أن نبدأ من نقد الدين وعدم التسليم بمائد أو مسلمات أولية فإننا لكي ننتقل من المقدمات النظرية إلى الواقع لابد أن نقوم بهذه الخطوة وهي مرحلة للانتقال من الفكر إلى الواقع بنقد الدين كما فعل فيورباخ (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠١). "ويمتاز فيورباخ بأنه أكثر المفكرين جدية وتحدياً للاهوت مثل اسبنوزا في القرن السابع عشر وفولتير في القرن الثامن عشر" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤٠٣).

يرى حسن حنفي أننا من الخطأ أن نربط قدرة الإنسان بإرادة الله لأن هذه النظرة تتسبب في اثبات قدرة الله المطلقة ومن ثمّ عجز الإنسان – فالمفروض أن تربط الانسان بعالمه هو ليحقق إرادته وحريته وفعله في هذا العالم ولا يقع في الاغتراب "فيترك العالم إلى الله كما يترك الدنيا إلى الآخرة يعيش خارج الدنيا ويعيش في الآخرة قبل الأوان" (حنفي، د.ت، ٢٠-٢١). "الدين اغتراب الإنسان عن نفسه وعن عالمه وأخذ أهم ما يتصف به الإنسان وهو الوعي بالذات وموضعته خارجاً عنه في الله فيعبده ويقدسه والحقيقة أن الانسان يعبد نفسه ويقدس نفسه في صورة جوهر مفارق ويرجع هذا الاغتراب إلى شعور الانسان بالعجز أمام القوى الطبيعية والاجتماعية" (حنفي، ١٩٩١، ٢٦٠).

أما الاغتراب الديني عند حسن حنفي أنه يمهد للاغتراب السياسي ومن ثمّ تنتقل السلطة من الله إلى الحاكم ليفعل ما يشاء وبالتالي يفقد الانسان حقوقه بسبب عجزه" (حنفي، ٢٠١٧، ص٨-٩). الا ان فيورباخ لم يبالِ للتفسير السياسي للدين، وانما كان همه ان يفسره تفسيراً انثربولوجياً خالص للدين طبقاً للضرورة الخلقية والفلسفية إلّا أن السياسيين غضبوا منه لأنهم يعدّون الدين أسهل وسيلة لاستعباد الانسان سياسياً ولا يودون زعزعته وفهمه الفهم الصحيح" (حنفي، ٢٠١٧، ص٤١١-٤١٢).

**الخاتمة:**

يعد حسن حنفي مفكراً واقعياً يتمركز مشروعه الفكري الضخم حول الانسان نفسه، خاطب فيه العقل والضمير العربي وذلك من أجل ان تعيش الشعوب حرة مستقلة تبني مستقبلها من خلال الواقع العملي الذي ترفض من خلاله كل التقاليد والعقائد القديمة والموروثة غير الهادفة ومنها الدين؛ فالدين في نظره هو ما يواكب العصر لا يفرض عليه، كما انه يتغير تبعاً لتغير الزمن؛ وجاء هذا كله كرد فعل على الشعارات الرنانة والوعود

الكاذبة التي نسمعها كل يوم من رجال السلطة السياسيين، ومن هنا يمكن القول بأن الطابع الواقعي لفلسفته جعل من شخصه وفكره ومشروعه ميزة يحتذى بها كل من يهتم بمشكلات العصر وهمومه، كما وان من اهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا اليها في البحث الحالي وهي كالآتي:

١. إن حداثة الغرب لا تمثل الحداثة الانسانية العامة الشاملة كما يفهمها البعض بل هي حداثة محلية خاصة بالإنسان الغربي وحده.
٢. الحداثة لا تعني الغرب اطلاقاً بل تتحقق في اي مجتمع يوفر لها شروطها.
٣. يتطلب قيام حداثة عربية اسلامية تحليل الواقع المباشر تحليلاً شاملاً.
٤. اعادة بناء التراث للوصول الى حلول فعلية ناجحة.
٥. إن التراث هو المكون النفسي للجماهير وهو الجزء الاساس من مكونات الواقع الفعلي، فلا ينفع أن نأتي بحلول جاهزة من الماضي أو من الغرب ثم تطبيقها مباشرة على عليه.
٦. استمد حنفي الجذور المعرفية لمشروعه التراث والتجديد من فلاسفة الغرب منهم (اسبنوزا، وفيورباخ).
٧. إن اسبنوزا هو ما يحتاجه عصرنا لأنه طبق العقل على الدين والسياسة.
٨. رفض اسبنوزا فكرة التقديس للنصوص الدينية واعتبرها وثائق تاريخية تدخل الانسان في نشئتها.
٩. رأى في فيورباخ نفسه، فكل خطوة قام بها فيورباخ في التجديد الديني وانسنته وجعل السياسة دين جديد هو ما دعى حنفي الى تأسيس مشروع التراث والتجديد.
١٠. رفض فيورباخ الدين القائم على العقائد ونادى بالدين العملي الذي يهتم بمصالح الناس والمؤسسات الحكومية أو السياسية.

**المصادر:**


- أحمد، قيس هادي، فلسفة الدين عند اسبنوزا، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، إعداد وتحرير عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط١، ٢٠١٤.
- اسبنورزا، رسالة في اللاهوت والسياسة (مقدمة)، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- اسبنوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة(مقدمة)، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- أفاية، محمد نور الدين، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتحليلاته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
- حنفي، حسن، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، ٢٠١٧.
- حنفي، حسن، الدين والتحرر الثقافي، منتدى مكتبة الاسكندرية، د.ط، د.ت.
- حنفي، حسن، الدين والثورة في مصر، الاصولية الاسلامية، مكتبة مدبولي، الاسكندرية، د.ط، ج٦، د.ت.
- حنفي، حسن، اللاهوت الحديث والكلام الجديد، ضمن مجلة قضايا اسلامية معاصرة، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العدد ٢٦، ٢٠٠٤.

- حنفي، حسن، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢.
- حنفي، حسن، دراسات فلسفية في الفكر الاسلامي المعاصر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، ج١، ٢٠١٧.
- حنفي، حسن، ظاهريات التأويل، محاولة في تفسير وجودي للعهد الجديد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
- حنفي، حسن، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠.
- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٩٩١.
- حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة، الانسان المتعين، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ج٣، د.ت.
- حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة، المقدمات النظرية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ج١، د.ط، ٢٠١٧.
- حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة، المقدمات النظرية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ج١، د.ط، ٢٠١٧.
- حنفي، حسن، من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة علوم التصوف، ج٢، دار المدار الإسلامي، لبنان، ٢٠٠٩.
- حنفي، حسن، هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ج١، ١٩٩٨.
- حنفي، حسن، هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ج٢، ١٩٩٨.
- اسماعيل، سامح محمد، حسن حنفي، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين: اعلام تجديد الفكر الديني، اشراف: بسام الجمل، مؤمنون بلا حدود، ج١، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٦.
- السحمودي، شاكير أحمد، مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، ط٣، ٢٠١٥.
- السيف، خالد بن عبد العزيز، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية اسلامية، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، المملكة السعودية، ط٣، ٢٠١٥.
- صالح، هاشم، مدخل إلى التنوير الاوربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، رابطة العقلانية العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- عطية، أحمد عبد الحليم، فلسفة فيورباخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٩٨٩.
- فيورباخ، أصل الدين، دراسة وترجمة: أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٩١.
- فيورباخ، ماهية الدين، قضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، تأليف وترجمة: أحمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ٢٠١٧.


## References:


- Afaya, Muhammad Nour al-Din, In Contemporary Philosophical Criticism, its Western Sources and Analytics, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st Edition, 2014.
- Ahmed, Qais Hadi, The Philosophy of Religion according to Espinoza, in the book of a group of authors: Prelude to the Study of Philosophy of Religion, prepared and edited by Abdul-Jabbar Al-Rifai, Center for Studies of Philosophy of Religion, Baghdad, 1st Edition, 2014.
- Al-Sahmoudi, Shakir Ahmed, Curricula of Contemporary Arab Thought in Studying Issues of Faith and Heritage, Rooting Center for Studies and Research, Saudi Arabia, 3rd Edition, 2015.
- Al-Seef, Khaled bin Abdulaziz, The phenomenon of modern interpretation in contemporary Arab thought, an Islamic critical study, Al-Ta'heel Center for Studies and Research, Kingdom of Saudi Arabia, 3rd edition, 2015.
- Attia, Ahmed Abdel Halim, Feuerbach's Philosophy, House of Culture for Publishing and Distribution, Cairo, d.T, 1989.

- Espinorza, A Treatise on Theology and Politics (Introduction), translated and presented by: Hassan Hanafi, revised by: Fouad Zakaria, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1st Edition, 2005.
- Espinoza, A Treatise on Theology and Politics (Introduction), translated and presented by: Hassan Hanafi, revised by: Fouad Zakaria, Dar Al-Tanweer for printing, publishing and distribution, Beirut, 1, 2005.
- Feuerbach, The Origin of the Religion, Study and Translation: Ahmed Abdel Halim Attia, The University Foundation for Studies and Publishing, Beirut, d.D., 1991.
- Feuerbach, What is Religion, Primary Issues for Philosophy Reform and Other Texts, written and translated by: Ahmed Abdel Halim Attia, House of Arab Culture for Printing and Publishing, Cairo, D. T, 2017.
- Hanafi, Hassan, Concerns of Thought and Homeland, Dar Qubaa for Printing and Publishing, Cairo, 2, Volume 1, 1998.
- Hanafi, Hassan, Concerns of Thought and the Homeland, Dar Qubaa for Printing and Publishing, Cairo, 2, Volume 2, 1998.
- Hanafi, Hassan, Contemporary Western Thought, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 4th edition, 1990.
- Hanafi, Hassan, From annihilation to survival, an attempt to restore the sciences of Sufism, Volume 2, Dar Al-Madar Al-Islami, Lebanon, 2009.
- Hanafi, Hassan, From Creed to Revolution, Theoretical Introductions, Hendawi Foundation, United Kingdom, Part 1, Dr. I, 2017.
- Hanafi, Hassan, From Creed to Revolution, Theoretical Introductions, Hendawi Foundation, United Kingdom, Part 1, Dr. I, 2017.
- Hanafi, Hassan, From the Creed to the Revolution, The Disciplined Person, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, d.T., Part 3, d.T.
- Hanafi, Hassan, Heritage and Renewal, Our Position on Ancient Heritage, Hindawi Foundation, United Kingdom, Dr. I, 2017.
- Hanafi, Hassan, identity, the Supreme Council of Culture, Cairo, 1, 2012.
- Hanafi, Hassan, Introduction to the Science of Occidentalism, Technical House for Publishing and Distribution, Cairo, d.T, 1991.
- Hanafi, Hassan, Modern Theology and New Kalam, in the Journal of Contemporary Islamic Issues, edited by: Abdul-Jabbar Al-Rifai, Center for Studies of Philosophy of Religion, Baghdad, No. 26, 2004.
- Hanafi, Hassan, Phenomenology of Interpretation, An Attempt to Existential Interpretation of the New Testament, Madbouly Library, Cairo, 1st Edition, 2013.
- Hanafi, Hassan, Philosophical Studies in Contemporary Islamic Thought, Hendawi Foundation, United Kingdom, Dr. T, Part 1, 2017.
- Hanafi, Hassan, Religion and Cultural Liberation, Bibliotheca Alexandrina Forum, Dr. T., D. T.
- Hanafi, Hassan, Religion and Revolution in Egypt, Islamic Fundamentalism, Madbouly Library, Alexandria, d.T., part 6, d.T.
- Ismail, Sameh Muhammad, Hassan Hanafi, in the book of a group of authors: Flags of Renewal of Religious Thought, supervision: Bassam Al-Jamal, Believers Without Borders, Part 1, Casablanca, Morocco, 1st Edition, 2016.
- Saleh, Hashem, Introduction to the European Enlightenment, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, The Arab Rationality League, Beirut, 1st Edition, 2005.